العلاقة بين الهوية الوطنية و المواطنة

د. خديجة بن وزة : جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم:الجزائر

د. عاتكة غرغوط : جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي:الجزائر

الملخص:

إذا كانت الهوية الوطنية تشير إلى حب الوطن و الارتباط به، و الانتماء الوطني، وما ينتج عن ذلك من استجابات عاطفية، وروحية تكمن وراء سلوك المواطنة، وإذا كانت المواطنة تعني، ترجمة سلوكية و عملية للشعور بالهوية الوطنية، فإن المواطنة تعكس الممارسات من حقوق وواجبات تجاه الوطن، مع الالتزام بمبادئ و قيم، و عادات، وقوانين المجتمع، من خلال المحافظة على مكتسبات الوطن و الرقي به، و نحن في هاته المداخلة نحاول دراسة كل من مفهوم الهوية الوطنية، ومفهوم المواطنة لإيجاد العلاقة التي تربط بينهما.

الكلمات المفتاحية: الهوية الوطنية– المواطنة– الوطن .

The relationship between national identity and citizenship

Abstract:

The national identity refers to patriatism affiliation and national belonging، what results and lanoitomeand spintual responses that lie behind the behavior of citizenship

While citizenship means a behavioral and practical transalation of national identity, So it reflect the practices of rights and duties ti wards the himeland while adhering to principles, values, customa, dnaloves of society by preseaving and improving the achevement of the homeland.

In this intervention, we are trying to find the find the relation between the concept of national identity and citizenship.

Key words: citizenship- patriotism- national identity

مقدمة:

تعتبر الهوية من أهم السمات المميزة للمجتمع، لأنها تبرز معالم التطور في سلوك الأفراد و إنجازاتهم المختلفة، و تنطوي على أكثر من ذلك على المبادئ و القيم وراء تحقيق الإنسان غاياته، و نظرا لما استأثر به هذا الموضوع من اهتمام كبير من طرف عديد الباحثين و المفكرين فإن من الهوية يعد لحد الساعة من المفاهيم المثيرة للجدل و النقاش.

وان الهوية من المفاهيم المتغيرة و المتحولة عبر الأزمنة و الشعوب و السياسات و الثقافات فإن هذا المفهوم يتأرجح بين الاتساع حينا و الضيق حينا أخر، فحين نحدد هويتنا بالهوية القومية، الهوية العرقية، الهوية الطائفية، الهوية الثقافية، الهوية الفردية، الهوية الجماعية، نحدها و نقلص من مفهومها و دورها في حياة الفرد و الجماعة و الشعوب، و لكننا حينما نغلب الهوية الوطنية نتجاوز ذلك الإطار الضيق لنعبر عن هوية أوسع ألا و هي هوية الانتماء و الوطنية لمصالح مشتركة و ثقافة و تاريخ و جغرافية واحدة،و لان المواطنة تمثل صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية، و المواطنة تتميز بنوع خاص من الولاء للوطن و خدمته في أوقات السلم و الحرب، بالتعاون بين أفراد الوطن الواحد وبين مؤسساته سواء كان هذا العمل فرديا أو رسميا أو تطوعيا لتحقيق خدمة مصالح الوطن و المواطنين.

و في ظل التحولات التكنولوجية و الثورة المعلوماتية التي تعيشها المجتمعات العربية، و في ظل هيمنة العولمة الاقتصادية و السياسية و الثقافية، باتت الهوية و الهوية الوطنية لشعوبنا العربية مهددة بالاضمحلال و الاندثار في مسمى"الهوية العالمية"لذا و هذا المنطلق جاءت هاته المداخلة المعرفية النظرية للهوية الوطنية و المواطنة، لتتجلى اشكاليتها في الربط بين الهوية الوطنية و المواطنة لدى الفرد و الأجيال اللاحقة لان الالتزام بقيم المواطنة يعزز و يحافظ على الهوية الوطنية للشعوب.

ماهية العلاقة التي تربط بين الهوية الوطنية و المواطنة لدى الفرد؟

و حتى نحدد محاور دراستنا قمنا بإيجاد التساؤلات التالية:

ماذا؟ دراسة نظرية للهوية الوطنية و للمواطنة.

لماذا؟ لتوضيح ماهية العلاقة التي تربط بين المفهومين(الهوية الوطنية، المواطنة).

كيف؟ من خلال تحديد عناصر كل مفهوم على حدا، ثم إيجاد القواسم و النقاط المشتركة بينهما لبناء العلاقة بين الهوية الوطنية و بين المواطنة.

المحور الأول:الهوية و الهوية الوطنية.

1- **مفهوم الهوية:Identity**

في اللغة نجد في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية الهوية"حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره"،أما قاموس **أكسفورد** فيعرف الهوية بوصفها"حالة الكينونة المتطابقة بإحكام و المتماثلة إلى حد التطابق التام أو التشابه المطلق"و كذلك معجم **روبير** يحدد الهوية باعتبارها الميزة الثابتة في الذات.

و في تراثنا الفكري العربي تعريفات كثيرة ل"الهوية"، إذ يعرفها **الجرجاني** بأنها الأمر المتعقل من حيث امتيازه من الاغيار، و الهوية عند **ابن رشد** تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود، و عند **الفارابي:**"هوية الشيء عينيته و تشخصه و خصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه إشراك".

هذا من ناحية الدلالة اللغوية لكلمة الهوية، أما إذا أردنا التعمق في إشكالات المفهوم فلا بد لنا من الرجوع إلى أراء الباحثين و المفكرين في ذلك نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر، **محمد أمين العالم** الذي يرى أن الهوية ليست أحادية البنية، أي لا تتشكل من عنصر واحد، سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان أو الأخلاق أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها، إنما هي محصلة تفاعل هذه العناصر كلها.[1] كما يشير **صموئيل هنتكتون** إلى الهوية: هي إحساس فرد أو جماعة بالذات، إنها نتيجة وعي الذات، بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك، و تميزنا عنهم، فالطفل الجديد يمتلك عناصر هوية ما عند الولادة، بعلاقة مع اسمه و جنسه و أبوته و أمومته و مواطنتيه، و هذه الأشياء في كل حال لا تصبح جزءا من هويته حتى يعيها الطفل و يعرف نفسه بها[2]،كما يشير **عفيف البوني** إلى الهوية فيقول:بأنها المز أو العامل المشترك الذي يجمع عليه كل أفراد الأمة، أية أمة من حيث الانتساب و التعلق و الولاء و الاعتزاز، و هذا الانتساب و التعلق و الولاء و الاعتزاز يكتسب قداسته لأنه ليس موضع شك من طرف أي فرد، خاصة ممن تتكون منهم قاعدة الهرم و هي هوية القاسم المشترك بين الجميع، استنادا إلى الخلفية الثقافية و التاريخية الواحدة...[3].و **محمد عمارة**، الذي أشار إلى "أن الهوية الشيء ثوابته التي لا تتجدد و لا تتغير و تتجلى و تفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة، فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره، و تتجدد فاعليتها و يتجلى

وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس، إنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، و التي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون، باعتباره منتميا لتلك الجماعة.[4]

وهنا نقول أن أراء الباحثين و المفكرين حول مفهوم الهوية تتميز بالتحديد و الثبات لأنها تربط الهوية بالبعدين الثقافي و الاجتماعي التاريخي، و لان الهوية بنية متحولة باستمرار على محور ثبات، بمعنى أن الهوية قيم جوهرية تتفاعل في واقع متجدد حسب فهم الفرد، و إدراكا ته و ديناميته، و قدراته، فهي لذلك متحولة و متجددة لا تخضع لقانون أو قاعدة عامة، لأنها إن جمدت و تبتت على حال ماتت، وهنا استشهد ب كاظم ثائر في مقالته"العولمة و المواطنة و الهوية"الذي يميز بين تأويلين لمفهوم الهوية:

أ- التصور الستاتيكي أو الماهوي للهوية، الذي يرى أن الهوية عبارة عن شيء اكتمل و انتهى و تحقق في الماضي، ففي مدة زمنية معينة، أو نموذج اجتماعي معين و أن الحاضر ما هو إلا محاولة إدراك هذا المثال و تحقيقه.

ب- التصور التاريخي و الديناميكي للهوية الذي يرى أن الهوية شيء يتم، يكتسب، يعدل باستمرار و ليس أبدا ماهية ثابتة، أي الهوية قابلة للتحول و التطور، و ذلك لان تاريخ أي شعب هو تاريخ متجدد و مليء بالأحداث و التجارب، فإن الهوية الأصلية تتغير باستمرار و تكتسب سمات جديدة، و تلفظ أخرى و هذا يعني أن الهوية شيء ديناميكي...

هذا و يمكن القول أن هناك مستويات أو أنواع مختلفة للهوية هي:

- الهوية الفردية: و هي هوية تعرف الشخص أو الفرد، و تكون على مستوى الفرد فقط.
- الهوية الجماعية: تكون على مستوى الجماعة التي ينتمي إليها الفرد.
- الهوية الثقافية: هوية الرمز أو القاسم المشترك أو النمط الراسخ من تاريخ و عادات و تقاليد و أساليب حياة، و التي تميز الجماعات و الشعوب عن غيرهم.

- الهوية الوطنية: هوية جامعة تشمل أفراد الجماعة والمجتمع في وطن واحد، تجمع هوية الفرد و الجماعة و الثقافة لما هو أسمى من ذلك الوطن.

أما عن المصادر و السمات التي تستقي منها الهوية حياتها و حيويتها فقد حددها **هنتكتون** في:

- ✓ السمات الشخصية:و تشمل العمر، السلالة، الجنس، القرابة(قرابة الدم)، الاثنية(القرابة البعيدة)، العرق.
- ✓ السمات الثقافية:العشيرة، القبيلة، الاثنية، اللغة، القومية، الدين، الحضارة.
- ✓ السمات الإقليمية:الجوار، القرابة، البلدة، المدينة، الإقليم، المنطقة، القارة، نصف الكرة الأرضية.
- ✓ السمات السياسية:القائد، الزمرة، الجماعة ذات مصلحة معينة، الحركة، الحزب، الإيديولوجية، الدولة.
- ✓ السمات الاقتصادية:الوظيفة، الشغل، المهنة، مجموعة العمل، الصناعة، القطاع الاقتصادي، الطبقة.
- ✓ السمات الاجتماعية:الأصدقاء، الفريق، الزملاء، النادي، المجموعة، المكانة الاجتماعية.

إذن هاته المصادر المتنوعة قد تكون هي بتفاعلاتها مصادر هوية الفرد البارزة أو قد يستمد الفرد هويته من احد المصادر فقط، فمثلا قد تكون الأسرة هي مصدر هوية الفرد أو الحزب السياسي أو جماعة الرفقاء أو غيرها.

2- **الهوية الوطنية National Identity:**

2-1-**تعريفها:**

الهوية الوطنية هي هوية أوسع و أشمل في مفهومها لأنها تضم الهوية القومية و الهوية الدينية و الهوية الثقافية لتتجاوزها إلى هوية تنتمي لجغرافية و تاريخ و ثقافة و دين و مصالح مشتركة بين أفراد الوطن الواحد، و يقربنا الدكتور **عباس الجراري** من مفهوم الهوية الوطنية، حين يقول: أنها المتمثلة في مقومات ثابتة، و قيم ناظمة لها، بحكم التشبث المتواصل بها عبر العصور و الأجيال، بحب صادق و روابط فكرية و نفسية تشد هذه الأجيال وتجعل الكل يتفاعل معها، بإدراك عميق و حتى بدونه، أي بعفوية و تلقائية[5]. إذن الهوية الوطنية تمثل مجموع الخصائص و السمات التي تعرف مجتمع ما في أي دولة بنفسه، و تميزه عن غيره من المجتمعات، و الهوية

الوطنية هي المحدد الأساس لسلوك أي دولة و سياساتها الخارجية، وهاته السمات و الخصائص نتاج أحداث و تجارب تاريخية تعيشها المجتمعات خلال نسق تراثي و ثقافي و ديني و لغوي محدد.

أما وزارة الثقافة و الشباب و تنمية المجتمع في دولة الإمارات، فتعرف **الهوية الوطنية** ب"أنها منظومة اجتماعية و أخلاقية ترتبط بتفاصيل حياة الشعب ماضيا و حاضرا و مستقبلا، تقوم على استحضار جوهر وجوده و استقراء أسباب بقائه، حفاظا على هذا الوجود من تحديات التشتت و الامحاء، و التفكك و الإلغاء، من خلال تعزيزه بمقومات الانتماء و **المواطنة**، و العمل و المبادرة المنتجة".(من ملخص ورقة عمل بعنوان دور الأسرة في تعزيز الهوية الوطنية لمؤتمر الأسرة في المجتمع الحديث، مايو 2012) ، إذن المواطنة و الانتماء للوطن الواحد تعزز الهوية الوطنية للشعوب.

2-2-مكونات الهوية الوطنية:

حسب **عباس الجراري** يمكننا حصر المكونات التي تتشكل و تتفاعل بها الهوية الوطنية في أربعة نقاط هي:

- الوطن: الوطن الذي ينطلق من الأرض، أي المكان و ما يرتبط به من زمان يعكس تاريخه، ليشمل مختلف العناصر الطبيعية و البشرية و ما ينشأ عنها من أوضاع سياسية و اقتصادية و اجتماعية و أنماط سلوكية.
- الدين: بما يكون له من تأثير على معتقديه، بشرائعه المكيفة لكل النظم التي تتحكم في سير الوطن، و ما يترتب عليها من أفكار و مفاهيم و تصورات و مبادئ، بها يهتدي المواطنون و يقيسون كل شؤون حياتهم، و يقول وليم جيمس في أهمية العناية بالجانب الديني:"الإيمان بالله هو الذي يجعل للحياة قيمة، وهو الذي يمكننا من أن نستخرج من الحياة كل ما فيها من لذة و سعادة، و هو الذي يجعلنا نتحمل كل ما في الحياة من محن، و نتقبلها بكثير من الشجاعة و الرضا، و هو الذي يهيئ لنا كل ما هو ضرورة لحياة وادعة"[6].

وهنا نقول أن أي هوية وطنية لا تكون إلا بوجود دين لأنه الضابط لكثير من التشريعات و القرارات السياسية و الاجتماعية، لذا فان أي مساس بالمعتقدات الدينية هو مساس بالهوية الوطنية للمجتمعات.

- اللغة:اللغة جزء لا يتجزأ من ماهية و هوية الإنسان، لأنها تنفذ إلى جميع نواحي حياته الاجتماعية و الحضارية و الثقافية، و هي وسيلة تواصل و بنية خطاب، ووعاء فكر و أداة تعبير عن الرأي و الإبداع الأدبي و الفني و الكشف عن المشاعر و الأحاسيس، و تعتبر اللغة العربية الفصحى لغتنا لغة القران الكريم، و التراث الزاخر الذي أنتج بها في مختلف العلوم و الفنون، لذا فإن الحفاظ عليها، يعني استمرارية الشعوب من حيث المعتقدات و المكونات الوجدانية و العقلية و الخصوصيات الثقافية و الحضارية.
- الثقافة:بدأ من هذا التراث الذي تراكم عبر العصور و الأجيال، إلى ما يجد من إنشاء أبناء الوطن في سائر المجالات العقلية و الروحية و العاطفية، و ما إليها من مهارات تنم عن ذواتهم و شخصيتهم،و الثقافة بما لها من علاقة ببقية مكونات الهوية الوطنية تتميز بالتبادل و التجديد و التفاعل عبر الأزمنة و الأمكنة، و التاريخ يعد احد أهم مقومات الثقافة، لأنه أحد قسمات هوية أي امة، لأنه يعتبر السجل الثابت للماضي و ذكرياته و مفاخره، فالتاريخ المشترك عنصر أساسي للمحافظة على الهوية الوطنية لان أي أمة أو شعب أو فرد أو دولة لا يشعر بوجوده بين الأمم و الشعوب إلا من خلال تاريخه.

2-3- مؤشرات الهوية الوطنية:

يعرف **الجريبيع** عن (1994Cohen) مؤشرات الهوية الوطنية على أنها المميزات و الخصائص المتعلقة بالإنسان و التي يقدمها للآخرين معرفا بها عن هويته ووطنيته، مختارا و مقررا بحرية تامة، و معربا عن انتمائه لجنسيته و لهويته، تتمثل هاته المؤشرات الدالة على الهوية الوطنية للفرد في:

- مكان الولادة،- روابط الأسلاف و الأجداد،- الانتماء القبلي،- الالتزام بالعادات و التقاليد و الأعراف،- الالتزام بالقوانين،- مكان الإقامة،- الالتزام بالزى التقليدي،- طول فترة الإقامة،- الأسماء و الألقاب،- النشأة و التربية، - اللهجة، - الشكل و المظهر الخارجي.

إذن مؤشرات الهوية الوطنية لكل فرد هي ما يعبر به للآخرين عن هويته الوطنية و انتمائه لوطنه، و كلما توحدت المؤشرات زادت الروابط الوطنية، و الإحساس بالهوية و الوحدة المصيرية، و هذا ما يلاحظ جليا عندما يقدم فرد نفسه في محفل دولي، فتتمظهر هويته الوطنية في زيه التقليدي(المظهر الخارجي)، وفي لغته المستخدمة(اللغة العربية)، و حتى من خلال أخلاقه و تعامله السلوكي الذي يدل على تنشئته و دينه و ثقافته، فأين نحن كأفراد عرب و مسلمين من تمثيلنا لهويتنا الوطنية العربية و الإسلامية خارج أوطاننا؟؟

2-4- مهام الهوية الوطنية في المجتمع:

إذا كانت الهوية الوطنية عبارة عن نسق من الموروثات الحضارية المكونة للسلوك الإنساني، و المعايير الأخلاقية التي كثيرا ما ترتبط بالأعراف و التقاليد و التراث الثقافي للمجتمع، ولها مكوناتها الخاصة المتمثلة في الوطن الدين، اللغة، الثقافة، و التاريخ، إضافة لعدة مؤشرات و دلالات تعبر عن وجودها لدى الأفراد و المجتمعات، من هنا يكون للهوية الوطنية دور و مهمة ووظيفة داخل المجتمع يمكن حصرها في جانبين أساسين هما (بتصرف من أدبيات الموضوع):

أ- الدور الاجتماعي(المهمة الاجتماعية للهوية الوطنية):

- ✓ للهوية الوطنية الدور البارز في تحديد منظومة القيم السائدة في المجتمع و التي ترسم معالم التوجهات الفكرية و الأخلاقية و الدينية و السلوكية للأفراد.
- ✓ توفر الهوية الوطنية القاعدة الأساس لأي إستراتيجية تطويرية، أو برامج مخطط لها من طرف الدولة، بما يتوافق مع خصوصية المجتمع و سماته المميزة.
- ✓ إن وضوح الرؤية الإدراكية لكل فرد و لهوية الجماعة التي ينتمي إليها، و للخصائص المشتركة بينه و بين جماعته يحقق استقرارا نفسيا و اجتماعيا للأفراد.

- ✓ لإحساس الفرد بعضويته وعضويته الفعالة داخل جماعته دور أساسي لتحقيق التكافل و التضامن و التكيف الاجتماعي، و تحقيق مواطنة صالحة قوامها مشاركته في القيم و الآراء و المواقف التي تشكل هويته الوطنية، إذن الهوية الوطنية تفعل قيم المواطنة الصالحة لدى الأفراد.

ب- الدور السياسي(مهمة الهوية الوطنية سياسيا):

- ✓ الهوية الوطنية أرضية من القيم و المبادئ تدعو إلى الحوار ووحدة المصير للشعب، تحقق بذلك استقرارا سياسيا ووحدة وطنية بين أفرادها و مؤسساتها السياسية بعيدا عن الصراعات و الثورات و الاضطرابات الأمنية.
- ✓ الهوية الوطنية مصدر لتعزيز الانتماء وولاء الأفراد لدولتهم و ما تمثله من أحزاب و كتل سياسية ومؤسسات أمنية، و هذا ما لمسناه في الاحتلال الفرنسي للجزائر مثلا.
- ✓ الهوية الوطنية عامل معزز لتماسك المجتمع، باعتبارها الوعاء الجامع لمختلف فئات المجتمع على أساس التجانس و الانسجام و التساوي بالحقوق و الواجبات، مما يساعد على سيادة العدالة و الاستقرار دون الالتفاف إلى التعددية الطائفية أو اللغوية أو الثقافية.
- ✓ الهوية الوطنية تؤسس للاتجاهات و التحركات السياسية للدولة في سياستها الخارجية مع الدول الأخرى.

وبناء على ما سبق فإن الهوية الوطنية هي هوية جامعة و شاملة للهويات الأخرى، القومية و الطائفية و العرقية و الفردية و الجماعية، لأنها تنطوي بالأساس على معنى و دلالات رمزية و جماعية و ثقافية تكسب الفرد إحساسا بالانتماء للوطن و الاعتزاز و الولاء له، وهذه الوظيفة الأساسية للهوية الوطنية، بالإضافة إلى ما توفره الدولة للدفاع عن الأرض و المجتمع و التنمية الشاملة و تلبية حاجات المواطنين، انطلاقا من مبدأ العدالة و المساواة، لذا فالهوية الوطنية ليست وليدة الفراغ، بل هي جهد كثير من الإجراءات المؤسساتية التي تمهد أنشأتها و تطور ماهيتها في وطن يكون بقعة جغرافية ذو دلالات نفسية و روحية و اجتماعية في الفكر الجمعي للأفراد، وهنا نتساءل هل الهوية الوطنية حاضرة في روح وقيم و سلوكات المواطنين؟

أجل يمكننا الإجابة على التساؤل حينما نعرف أفراد أي مجتمع أو أي شعب عن التساؤلات التالية:

هل تعتبر الدفاع عن وطنك واجبا عليك؟ هل تحس بالافتخار بوطنك و بعروبتك و بلغتك؟ بماذا تحس حينما تسمع النشيد الوطني؟ فإذا كانت الإجابات إيجابية فلا بد من أن الهوية الوطنية للمجتمع حاضرة اعتقادا و شعورا بالانتماء جغرافيا و سياسيا و اجتماعيا و ثقافيا.

المحور الثاني: المواطنة Citizenship.

1-مفهوم المواطنة و أبعادها:

مفهوم المواطنة من المفاهيم التي يدور حولها جدل كبير، لذا يصعب إيجاد تعريف يتفق عليه الجميع.

3-1-تعريف المواطنة:

لغة: حسب **ابن منظور** مأخوذة من الوطن:المنزل تقييم به و هو" موطن الإنسان ومحله"، وطن يطن وطنا: أقام به، وطن البلد:اتخذ وطنا، توطن البلد:أتخذه وطنا، و جمع الوطن أوطان: منزل إقامة الإنسان ولد فيه أم لم يولد[7]،و المواطنة على وزن فاعل لفعل(واطن) وهي مصدره تعني شارك في المكان في إقامة و مولدا، أما اصطلاحا و حسب **الموسوعة العربية العالمية** فالمواطنة"اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن"[8].

و المواطنة عرفها **قاموس علم الاجتماع** ب"مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي و مجتمع سياسي(دولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقوم الطرف الأول(المواطن) الولاء، و يتولى الطرف الثاني الحماية، و تتحدد هذه العلاقة بين الفرد و الدولة عن طريق القانون.

كما يعرفها علم النفس:بأنها الشعور بالانتماء و الولاء و الولاء للقيادة السياسية التي هي وحدة الإشباع للحاجات الأساسية، و حماية الذات من الأخطار المصيرية، فهي تشير إلى علاقة المواطن بأرض و البلد[9].

وتعني المواطنة بالدرجة الأولى، و بصيغة قانونية بتحديد علاقة الأفراد بالدولة من حيث، احترام السلطة المتمثلة بالدستور، و الخضوع للقانون و معرفة الحقوق و الواجبات، و بهذا تشكل الإطار القانوني و السياسي

لممارسة المواطن لحقوقه و لأدائه لواجباته بكل وعي و مسؤولية على أرض الواقع، و يعرف **الزبيدي** المواطنة"بأنها تأدية الحقوق و الواجبات بين الإنسان الطبيعي والمجتمع السياسي(الدولة) في ضوء الأسس الوطنية للمواطنة، الانتماء، الولاء في بناء الدولة المدينة، الديمقراطية، دولة القانون و المؤسسات، التي تستند على أركان المواطنة الصالحة: العدل– المساواة– تكافؤ الفرص– الحرية– المشاركة– التسامح– الحوار وقبول الأخر– الاعتزاز و النزاهة– الشفافية – المساءلة– الموازنة بين الحقوق و الواجبات".

كما يشير **الدكتور محمد الصاقوط** إلى المواطنة بأنها عضوية كاملة، تنشأ من علاقة بين فرد و دولة كما يحددها قانون تلك الدولة، و بما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات كدفع الضرائب، و الدفاع عن البلد و بما تمنحه من حقوق كحق التصويت، و حق تولي المناصب العامة في الدولة[10].

وهنا يمكننا القول أن المواطنة هو ذلك التفاعل الايجابي بين المواطن و المجتمع و الدولة من خلال المشاركة و الارتباط الكامل بين الإنسان ووطنه المبني على أسس من العقيدة و القيم و المبادئ و الأخلاق التمتع بالحقوق و أداء الواجبات بعدل و مساواة بهدف تحقيق مصالح الجميع تحت مظلة المصلحة العليا للوطن.

3-2- أبعاد المواطنة:

يمكننا تحديد أبعاد المواطنة في:

- البعد السياسي:المتمثل في إحساس الفرد بالانتماء للوطن من خلال مؤسسات الدولة و الأحزاب و النقابات و الجمعيات، و أفكار حول الشأن العام، و المجال العمومي و الأفكار التي تتبلور لدى الفرد حول هذا الوطن، ومدى سعي الفرد للتأثير فيه عن طريق الولاء أو المعارضة للنظام أو الخوف منه، و الابتعاد عنه أو الثورة عليه.
- البعد الثقافي: ويهتم بما يوفره الوطن من إحساس بالانتماء إلى جماعة تمثل في الهوية و تتجسد هذه الهوية المشتركة فيما يجمع الفرد مع غيره من ممارسات الحياة اليومية، من عادات الآكل، اللباس،

الموسيقى، و طقوس الأديان، و الأعياد، كما أنها تتجسد في الرموز المشتركة لما يمثل الهوية الوطنية، أو الهويات الجماعية المتعايشة في ظل الوطن الواحد.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن بعدي المواطنة السياسي و الثقافي متداخلين في المعنى و الدور، وهذا ما يمكن تلخيصه في صور و أشكال المواطنة التي أشار إليها السويدي، في دراسته "نحو إستراتيجية وطنية لتنمية قيم المواطنة و الانتماء"، حين يبين أن المواطنة لا تأخذ صورة واحدة لدى كل المواطنين، حيث انه ليس بالضرورة أن تكون مشاعر و أحاسيس الوطنية موجودة لدى الجميع و بنفس الدرجة، بل هي تتأرجح بين الزيادة و النقصان تبعا لعوامل وظروف مختلفة، لذا فصور و أشكال المواطنة هي:

- المواطنة الايجابية: و هي التي يشعر الفرد بقوة انتمائه الوطني، و يقوم بواجبه المتمثل في القيام بدوره الايجابي لمواجهة السلبيات.
- المواطنة السلبية: و هي شعور الفرد بانتمائه للوطن، و لكن يتوقف عند حدود النقد السلبي، و لا يقوم بأي عمل إيجابي لإعلاء شأن وطنه.
- المواطنة الزائفة: و فيها يظهر الفرد حاملا لشعارات ظاهرية فقط، بينما واقعه الحقيقي ينم عن عدم إحساس و اعتزاز بالوطن.
- المواطنة المطلقة: و فيها يجمع المواطن بين الدور الايجابي و السلبي تجاه المجتمع، وفقا للظروف التي يعيش فيها ووفقا لدوره فيها.[11]

3-3-أركان و مكونات المواطنة:

ترتكز المواطنة على مجموعة من المقومات تشكل منظومة الحقوق و الواجبات، التي تقوم على إلزام و التزام، تشكل في الأخير نظام مسؤوليات من الدولة تجاه المواطن، و من المواطن تجاه دولته، و تنقسم هاته الأركان إلى:

- الحقوق الطبيعية:1- الحريات: و التي تمثل حق إنساني فطري ثابت لكل إنسان، بحيث يجب أن تحافظ التشريعات الخاصة بالدولة على الحريات الطبيعية و لا تصطدم معها، لأنها هبة من الله تعالى.

2- المساواة: تطبيق مبدأ المساواة على كل البشر منتمون لوطن واحد دون تمييز، أو تعسف بحيث يستحق الأفراد كافة الحقوق و يلتزمون بكافة الواجبات.

3- العدالة: تعتبر العدالة حق وواجب إنساني، لذا لا يظلم الفرد، بل يعطى حقه الطبيعي كإنسان و حقه المكتسب بانتمائه لوطن و دوله ما.

- الحقوق المكتسبة و الواجبات المكتسبة: وتشتمل

1-الحرية: تعني الحرية الإرادة، الاستقلال، الشجاعة، نزاهة، تحرر من العبودية، و يمكن تقسيم أنواع الحريات إلى:حرية العقيدة:الحرية المطلقة لاختيار العقيدة.حرية التعبير عن الرأي: لكل إنسان الحرية في إبداء رأيه في المناقشة، تبادل الآراء، الكتابة، التأليف، النشر، و في المحادثة و الخطاب.الحرية الشخصية: لكل فرد الحرية في القيام بأعمال أو الامتناع عن أعمال دون إحداث ضرر أو المساس بحقوق الآخرين، أو حتى مخالفة القوانين.

حرية الاختيار: حرية اختيار الرئيس، أو أعضاء الدولة عن طريق الانتخابات النزيهة.

2- المساواة:هي حالة من التماثل بين الأفراد في المجتمع أمام القانون دون اعتبار للمولد، الطبقة الاجتماعية، العقيدة الدينية، الفكر، المهنة، التعليم، الثروة، المساواة تكون في الحقوق و الواجبات دون تمييز عرقي، ديني، قومي، وحسب[12] المساواة حق إنساني ثابت ووطني يستند إلى مؤهلات الإنسانية إلى الوطن كمواطن له حقوق و عليه واجبات دون تمييز عرقي.

3-العدالة: العدالة تأتي من العدل في إعطاء كل ذي حق حقه، بالاستناد إلى الحقوق الطبيعية، و الحقوق المكتسبة بالانتماء للوطن و الدولة.

4-التسامح:و يعني اتساع العيش مع الآخرين بسلام، و تقبل أفكارهم و ممارساتهم، التي قد تختلف، و الإقرار لهم و الاعتراف بحقوقهم.

5-المسؤولية الاجتماعية:هي الالتزام و يكاد يكون فطريا، و تهدف المسؤولية إلى تعليم الفرد الاختيار و الحرية في اتخاذ القرار، وبهذا المسؤولية واجب نحو تقديم الخير، و مساعدة الآخرين، و إشباع حاجات الأفراد المختلفة.

6-المشاركة: بمعنى الوجود الوطني و المشاركة السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، و التمكين من صنع القرار، و المشاركة في تفعيله على ارض الواقع من خلال البرامج و المشاريع التي تدعم وتبني الوطن.

7-حقوق الإنسان: هي مجموعة حقوق وواجبات مقررة بموجب مواثيق دولية و إقليمية، تحميها الدولة و تراعي عدم الإخلال بها وطنيا ودوليا.

8- الحوار وقبول الأخر:يرى[13] أن الحوار هو وسيلة في عملية التواصل و التفاعل الإنساني،و بذلك فهو حديث بين أطراف يعمل على تقريب وجهات النظر و يحل القضايا و المشاكل العالقة دون تعصب.

9-النزاهة: عرفها الباحثان العجيل وشهاب بأنها" مجموعة القيم و البادئ المتعلقة بالصدق و الأمانة و الإخلاص داخل العمل المؤسساتي في تعزيز الوظيفة العامة.

10-الشفافية:يشير **الزبيدي** عنه فيقول: بأنها نظام قانوني قائم على توفير المعلومات بشكل مكشوف من المجتمع السياسي(الدولة) عن عمل مؤسساتها و إدارتها و ذلك بتدفق حر للمعلومات التي تتيح الوقوف على الحقائق، و رصد الايجابيات و السلبيات على كافة المستويات، وتتطلب الشفافية مبادئ الحوار و النقاش.

11- المساءلة: إن سيادة القانون و الوضوح في المعلومات يضمن استقامة الأداء الحكومي و المؤسساتي للدولة، فأي عضو الدولة ومؤسساتها قابل للمساءلة، عن التسيير وهنا يمكن القول إن المساءلة متعلقة بالشفافية، النزاهة، الحوار و تقبل الأخر.

و في ضوء ما سبق ذكره عن المواطنة، نشير إلى أن المواطنة هي نتاج تفاعل اجتماعي و ثقافي و سياسي و حضاري يجمع الفرد بالوطن، انطلاقا من بنية تشريعية سليمة، و تجانس اجتماعي، ووضوح في الأهداف المشتركة التي يسعى أفراد المجتمع و الوطن الواحد تحقيقها، لذا فإن ترسيخ قيم المواطنة و المواطنة الصالحة في الوطن العربي، يهدف لتحقيق المساواة في الحقوق و الواجبات، و تعزيز روح الولاء و الانتماء للوطن، انتماءا ماديا و معنويا، و تسعى المواطنة كذلك لإشراك جميع فئات المجتمع في القرار أي كان سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا، لان المواطن بالمشاركة يكون فاعلا في خلق و تفعيل القرار و روح و قيم المواطنة تتسامى و تتجلى في الأزمات و الصراعات و الحروب، كما تتجلى في السلم من خلال تفعيل دور المواطن في التنمية و الرقي بمجتمعه بين المجتمعات الأخرى.

المحور الثالث: العلاقة بين الهوية الوطنية و المواطنة.

إذا كانت الهوية الوطنية عبارة عن مجموعة من الخصائص و السمات التي تمكن مجتمع ما في دولة ما أن يعرف نفسه، و يميز ذاته عن المجتمعات الأخرى، و التي تقوم بضمان الاستمرارية التاريخية للمجتمعات من خلال الحفاظ على التاريخ و الدفاع عنه حتى يستمر من جيل إلى جيل داخل الوطن الواحد، و الهوية تحقق تجانس و انسجام مابين أفراد جهات الوطن، إضافة إلى التعايش بين الثقافات المحلية لان مرجعية أفراده الوطن واحدة و مصيره مشترك، و الهوية الوطنية تكتسب مقدرتها على البقاء من خلال مقدرتها على التطور و التفاعل مع المعطيات الاجتماعية و السياسية و الثقافية و التاريخية، و بوعيها لهذه الخصوصية المرنة و بالانفتاح، و المجتمع الجزائري حافظ على هويته الوطنية إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال المقومات القوية للشعب الجزائري: الدين الإسلامي، اللغة العربية و اللهجات كالامازيغية، التنوع الثقافي و الحضاري و التمسك بهما، و انتمائه القوي بوطنه وترابه الغالي، و إذا كان مفهوم المواطنة يشير إلى ذلك الانتماء ببقعة جغرافية، و بكيان و معتقدات و قيم و معايير ثقافية، و اجتماعية، و دينية، و تاريخية واحدة،هذا ولقد اجتهد بعض علماء الاجتماع في حصر صور المواطنة الجديدة التي أبرزتها التطورات العالمية الراهنة ، ومن أبرزهم (جون يوري) أستاذ علم الاجتماع في

جامعة لانكستر في بريطانيا ، وله دراسة مهمة منشورة عن العولمة والمواطنة ، جاء فيها إن هناك صوراً جديدة ابتدعت للمواطنة وهي[14] :

1 -المواطنة الايكولوجية : وهي تتعلق بحقوق والتزامات " مواطن الأرض " .

2 -المواطنة الكوزموبوليتانية : وهي تعني كيف ينمي الناس اتجاهاً إزاء المواطنين الآخرين والمجتمعات والثقافات الأخرى عبر الكوكب .

3 -المواطنة المتحركة : وهي تعني بالحقوق والمسؤوليات للزوار ، لأماكن أخرى ولثقافات أخرى.

وعليه فإن العلاقة بين الهوية الوطنية و المواطنة هي علاقة تلازمية لان الهوية الوطنية تمثل الجانب الروحي و العاطفي بالأرض و المجتمع، و هي تعبير قويم يعني حب الفرد و إخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى ارض و العادات و التقاليد و الفخر بالتاريخ و التفاني في خدمة الوطن، في حين تمثل المواطنة الجانب السلوكي العملي لهذا الشعور الروحي و العاطفي، فالهوية الوطنية هي النظارة التي يرى من خلالها المواطنون ما هو مناسب أو غير مناسب، صالح أو غير صالح لوطنهم، لأنه مبني على قاعدة من المعتقدات و القيم و المبادئ و المعايير التي تمثل هوية الشعب، و تتوضح العلاقة مابين الهوية الوطنية و المواطنة، في أن الهوية ملازمة للمواطنة لكونها سمة العضوية القانونية و السياسية للمواطنين المنضويين تحتها، و عليه فان الهوية الوطنية هي المعيار الذي يرى من خلاله المواطنون أنفسهم في وطنهم.

ولكن إخطبوط العولمة الذي بات يهدد الهويات الوطنية للشعوب بالاندثار، و شيوع هوية عالمية، و بات يخرب و يدمر كل ما هو عتيق و أصيل بحجة انه تقليدي، يجب أن يحل محله الجديد و التكنولوجي، فأصبحت العولمة تستهدف قيمنا و أصالتنا و انتماءنا و تعمل على صهر هويتنا الوطنية في مفهوم جديد" المواطنة العالمية" مواطنة لا تتعلق بوطن واحد، أو قيم و عادات و تقاليد و مبادئ و معايير، بل تتعلق بمجموعة دول متحالفة لمصالح محددة، أو باتحادات بين دول متعددة، وهنا لابد لها من هوية مشتركة لضمان نجاحه.

الخلاصة:

و أخيرا و في ختام هاته المداخلة عن العلاقة بين الهوية الوطنية و المواطنة نود التركيز على مجموعة من التوصيات الضرورية لمجتمعات العربية و هي:

- ✓ ضرورة التمسك بالهوية و الهوية الوطنية لكونها من أهم العوامل المؤثرة على تفعيل المواطنة الصالحة في المجتمع العربي.
- ✓ ترسيخ الهوية الثقافية العربية من خلال خلق و إنتاج برامج بحث و تقصي على شبكة الانترنت باللغة العربية.
- ✓ ضرورة نشر الوعي الجمعي و ترسيخه بأهمية المواطنة في استقرار و استمرار المجتمعات العربية عبر الأجيال خاصة فئة الشباب، من خلال المناهج الدراسية على مستوى التعليم الابتدائي و المتوسط و الثانوي و الجامعي.
- ✓ تفعيل السياسات الحكومية القائمة على الديمقراطية و العدالة الاجتماعية و المساواة، و تغليب سيادة القانون بعيدا عن الطائفية و الجهوية الإقليمية.
- ✓ التنسيق و التكامل بين الوسائل المعلوماتية المختلفة للمواطن كشبكات التواصل الاجتماعي، و الصحف، و التلفزيون، و الإذاعات، لتعزيز و تنمية الروح الوطنية و الهوية الوطنية.
- ✓ الاهتمام بإحياء التراث الفكري و الحرفي، و العادات و التقاليد، و إحياء المناسبات الدينية و التاريخية و الوطنية بشكل منظم وفعال في تعزيز الهوية الوطنية، و تقوية المشاعر الوطنية في مختلف ربوع الوطن العربي. وأخيرا نقول أن الإحساس القوي بالانتماء المادي و المعنوي للوطن، أي الشعور بالهوية الوطنية، لا بد و أن يترجم إلى مواطنة صالحة بناءة لهذا الوطن.

المراجع:

[1]العالم،محمود(1996).**الفكر العربي بين الخصوصية و الكونية**، القاهرة، دار المستقبل العربي، ص376.

[2]هنتكتون،صموئيل(2005).**من نحن–التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية**،ط1،دمشق، دار الحصاد، ص:37

[3]البوني،عفيف وآخرون(2013).**الهوية و قضاياها في الوعي العربي المعاصر**،ط1،بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية، ص:24

[4]الجراري،عباس(ب.ت).**الهوية الوطنية الجهوية**.ص: 6 على الرابط:

www.abbesjirari.com/alhawiyya.pfd

[5]نفس المرجع السابق ص:66

[6]**البهواشي،السيد**.دور التربية الإسلامية في تنمية الشخصية القومية المصرية لمواجهة مخاطر اللانظام العالمي اللاجديد ،ص440–441.

[7]ابن منظور،جمال(1993).**لسان العرب**،ط2،بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص:338.

[8]**الموسوعة العربية العالمية**(1996).مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، ص:331

[9]الزبيدي،صباح(ب.ت).**تعزيز مفهوم المواطنة في سياسة البحث العلمي الجامعي في العراق** الجديد،جامعة بغداد،كلية التربية للبنات ، ص:6.

[10]الصاقوط، إبراهيم(2007).**المواطنة و الوطنية**، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة ،ص: 14.

[11]السويدي،جمال(2001). **نحو إستراتيجية وطنية لتنمية قيم المواطنة و الانتماء**، دراسة مقدمة إلى ندوة التربية و بناء المواطنة،البحرين:كلية التربية، ص:18.

[12]العادلي،حسين(2006).**المواطنة**،بغداد، دار المرتضى.

[13]العفيف،أحمد وآخرون(2008).**التربية الوطنية**، الأردن، دار جريد للطباعة و النشر.

[14]الجبوري،ظاهر(2010).**مفهوم المواطنة لدى طلبة الجامعة دراسة ميدانية لطلبة جامعة بابل**،مجلة جامعة بابل،العلوم الإنسانية،مج(18).العدد(1)، ص:4.